

تفسير البحر المحيط

. @ 431 @

فليت دفعتم الهم عني ساعة .

وتكون لما بمعنى حين ، على مذهب الفارسي ، أو حرف وجوب لوجوب ، على مذهب سيبويه .
والتقدير : وإن منها منقاداً ، أو ليناً ، وما أشبه هذا . فإذا كانوا قد حذفوا الاسم
والخبر على ما تأوله بعضهم في لعن □ ناقة حملتني إليك ، فقال : إن وصاحبها ، فحذف
الاسم وحده أسهل . وقرأ الجمهور : يتفجر بالياء ، مضارع تفجر . وقرأ مالك بن دينار :
ينفجر بالياء ، مضارع انفجر ، وكلاهما مطاوع . أما يتفجر فمطاوع تفجر ، وأما ينفجر
فمطاوع فجر مخففاً . والتفجر : التفتح بالسعة والكثرة ، والانفجار دونه ، والمعنى : إن
من الحجارة ما فيه خروق واسعة يندفق منها الماء الكثير الغمر . وقرأ أبيّ والضحاك :
منها الأنهار . وقرأ الجمهور منه . فالقراءة الأولى حمل على المعنى ، وقراءة الجمهور على
اللفظ ، لأن ما لها هنا لفظ ومعنى ، لأن المراد به الحجارة ، ولا يمكن أن يراد به مفرداً
لمعنى ، فيكون لفظه ومعناه واحداً ، إذ ليس المعنى { وَإِنْ مِّنَ الْحِجَارَةِ }
للحجر الذي يتفجر منه الماء ، إنما المعنى للأحجار التي يتفجر منها الأنهار . وقد سبق
الكلام على الأنهار في قوله تعالى : { وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ } الآية . وقد ذهب بعضهم إلى أن الحجر الذي يتفجر منه الأنهار ، هو الحجر
الذي ضربه موسى بعصاه ، فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً . .
{ وَإِنْ مِّنْ مَّزْهَرٍ لَّمَّا يَشْهَقْ قُفٌّ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ } ، التشقق : التصدّع
بطول أو بعرض ، فينبع منه الماء بقلّة حتى لا يكون نهراً . وقرأ الجمهور : يشقق ، بتشديد
الشين ، وأصله يتشقق ، فأدغم التاء في الشين . وقرأ الأعمش : تشقق ، بالتاء والشين
المخففة على الأصل ، ورأيتها معزوة لابن مصرّف . وفي النسخة التي وقفت عليها من تفسير
ابن عطية . ما نصه : وقرأ ابن مصرّف : ينشقق ، بالنون وقافين ، والذي يقتضيه اللسان أن
يكون بقاف واحدة مشدّدة ، وقد يجيء الفك في شعر ، فإن كان المضارع مجزوماً ، جاز الفك
فصيحاً ، وهو هنا مرفوع ، فلا يجوز الفك ، إلا أنها قراءة شاذة ، فيمكن أن يكون ذلك فيها
، وأما أن يكون المضارع بالنون مع القافين وتشديد الأولى منهما ، فلا يجوز . قال أبو
حاتم : لما تتفجر بالتاء ، ولا يجوز تشقق بالتاء ، لأنه إذا قال : تتفجر فأنثه لتأنيث
الأنهار ، ولا يكون في تشقق . وقال أبو جعفر النحاس : يجوز ما أنكره أبو حاتم حملاً على
المعنى ، لأن المعنى : وإن منها للحجارة التي تشقق ، وإمّا يشقق بالياء ، فمحمول على

اللفظ . انتهى ، وهو كلام صحيح . ولم ينقل هنا أن أحداً قرأ منها الماء ، فيعيد على المعنى ، إنما نقل ذلك في قوله : لما يتفجر منه الأنهار ، فناسب الجمع الجمع ، ولأن الأنهار من حيث هي جمع ، يبعد في العادة أن تخرج من حجر واحد ، وإنما تخرج الأنهار من أحجار ، فلذلك ناسب مراعاة المعنى هنا . وأما فيخرج منه الماء ، فالماء ليس جمعاً ، فلا يناسب في حمل منه على المعنى ، بل أجرى يشق ، ومنه على اللفظ . .

{ وَإِنْ مِّنْهُ هَآءَ لَمَّآ يَهْبِطُ مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ } ، الهبوط هنا : التردّي من علو إلى أسفل . وقرأ الأعمش : يهبط ، بضم الباء ، وقد تقدم أنها لغة . وخشية الله : خوفه . واختلف المفسرون في تفسير هذا ، فذهب قوم إلى أن الخشية هنا حقيقة . واختلف هؤلاء ، فقال قوم معناه : من خشية الحجارة الله تعالى ، فهي مصدر مضاف للمفعول ، وأن الله تعالى جعل لهذه الأحجار التي تهبط من خشية الله تعالى تمييزاً قام لها مقام الفعل المودع فيمن يعقل ، واستدل على ذلك بأن الله تعالى وصف بعض الحجارة بالخشية ، وبعضها بالإرادة ، ووصف جميعها بالنطق